مشكلات حلها النبي ﷺ

الشعوذة كفر برسالة الإسلام

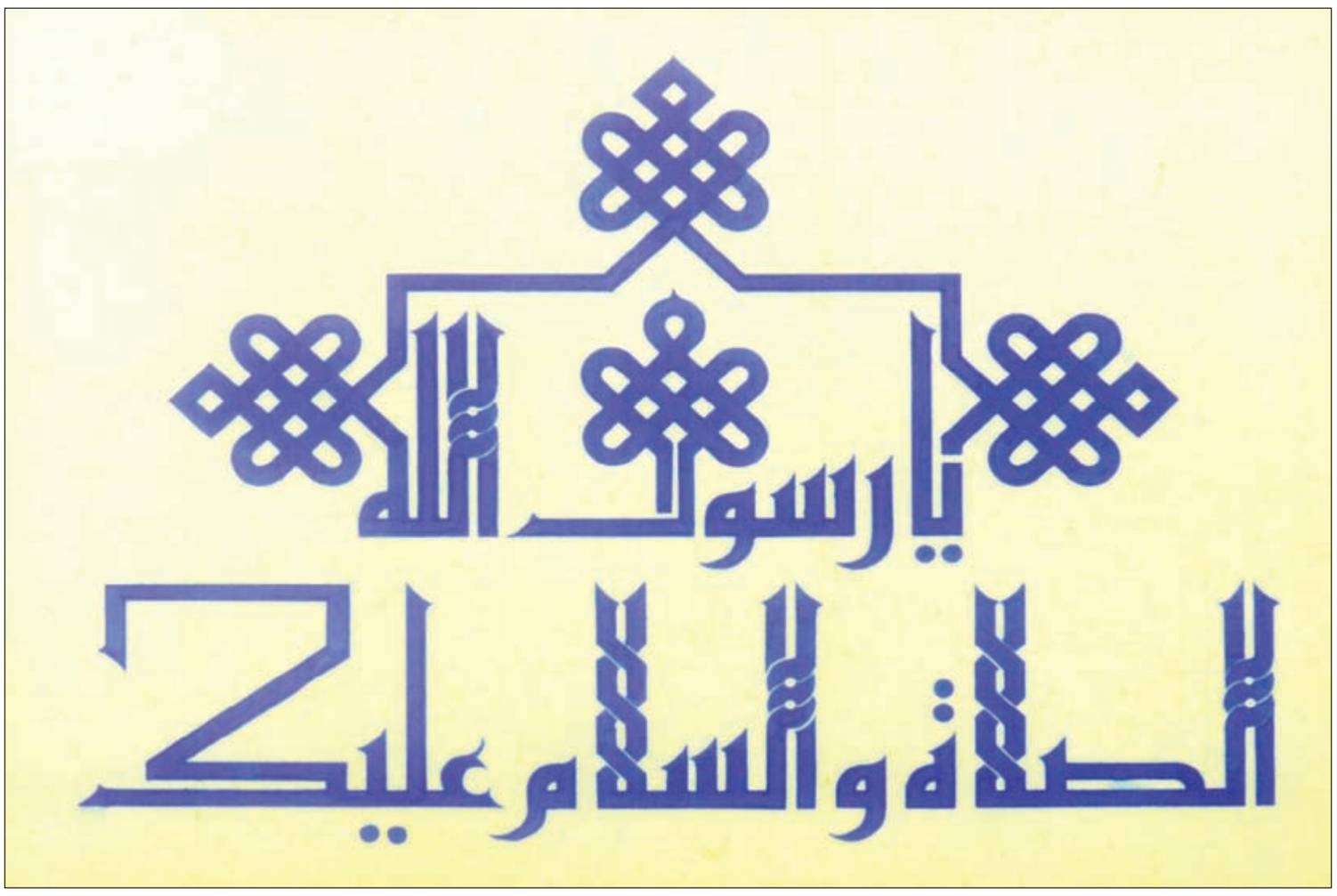

هناك من الناس من يستعين بالسحرة وقراءة الفنجان واهل الابراج والرمل وقراءة الكف وغيرها ويتشاءمون من امور حتى إذا لمحوها تفاعلوا معها، وهم يعتقدون بها وانها تنفع وتضر. هذه المشكلة تصدى لها الرسول ﷺ بعد ان عمق في النفس المؤمنة الصلاة باعتبارها من اهم اركان الاسلام وعد تاركها كافرا، وجعل لمؤديها عظيم الثواب، وبين الرسول ﷺ ان الاستعانة بالشعوذة مما يذهب بالصلاة اربعين يوما.

فعن صفية رضي الله عنها عن بعض ازواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: من اتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة اربعين ليلة.

وعن ابي هريرة رضي الله عنه والحسن عن النبي ﷺ قال: من اتى كاهنا او عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ.

السبع الموبقات

وجعل ممارسة هذه الأمور من المهلكات الموبقات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد اشرك، ومن تعلق شيئا وكل إليه».

وقد رتب ﷺ على تجنب التعامل مع الشعوذة أجرا عظيما، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «عرضت علي الأمم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه، قيل: انظر الى الأفق فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب، ثم دخل ولم يبين لهم فأفاض القوم. وقالوا: نحن الذين أمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم، أو أولادنا الذين ولدوا في الاسلام فإذا ولدنا في الجاهلية فبلغ النبي ﷺ فخرج فقال «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون».

مفتاح الغيب

بيّن ﷺ أن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه، فكل مدع للغيب دجال كذاب، وهذا من شأنه ان يصد المؤمن عن المشعوذين، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «مفتاح الغيب خمس، لا يعلمها الا الله، لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الارحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر»

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب، وهو يقول لا تدركه الابصار، ومن حدثك انه يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول: لا يعلم الغيب الا الله، وقال تعالى: «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو».

بين ﷺ ان المشعوذين يتلاعبون ويبالغون وهو ما سيؤدي الى تجنبهم، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم».

ثم وجه الرسول ﷺ المسلم الى نبذ العجز والاستعاذة منه. لأن العجز في الغالب يقود الى الاستعانة بالمشعوذين، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر».

الاستعانة بالله وحده

ودعا ﷺ المسلم الى الاستعانة بالله وحده، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: يا غلام أني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. اذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف.

كما دعا ﷺ على من استعان بالمشعوذين. فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له».

ونهى ﷺ عن الخوض في علم النجوم، فقال «اذا ذكر اصحابي فأمسكوا، واذا ذكرت النجوم فأمسكوا واذا ذكر القدر فأمسكوا».

وبين ﷺ ان عقاب الساحر ضربة بالسيف، فعن جندب قال: قال رسول الله ﷺ «حد الساحر ضربة بالسيف» وبهذا العقاب نقضي على الشعوذة وهذا من واجبات ولي الأمر.

لطائف لغوية

و«لا تكن في ضيق»

قال تعالى في سورة النحل: (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) الآية 127.

أما في سورة النمل فقال سبحانه: (ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون) الآية 70.

السؤال: لماذا قال تعالى في آية النحل: (.. ولا تك..) بحذف النون، بينما أثبتها في الآية الثانية في النمل: (.. ولا تكن..) بثبوت النون؟

الجواب: انه سبحانه في نهاية سورة النحل حذف النون من الفعل «تك..» تخفيفا وذلك يناسب التخفيف عن الرسول ﷺ في حزنه على عمه الشهيد حمزة بن عبدالمطلب يوم احد وما فعل به من التمثيل والتنكيل.

وإنما اثبت النون في الآية الثانية «تكن» لزيادة وتأكيد عدم الحزن على المجرمين الكاذبين الذين يكذبون بيوم الدين.

فسبحان من هذا كلامه في قرآنه وبيانه حذفا وإثباتا فيه البلاغة وحسن البيان على كل حال وبأي أسلوب كان، وهذا من لطائف القرآن الكريم ينبوع السعادة وسر البقاء وأصل الشفاء.

ليس البر

قال تعالى في سورة البقرة: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) الآية 177.

السؤال هنا: من المعلوم أن «ليس» من اخوات كان، ترفع ما بعدها وتجعله اسما لها وتنصب الخبر وتجعله خبرا لها، فلماذا جاءت كلمة «البر» بعد ليس منصوبة وكان من حقها الرفع.

الجواب: ان كلمة «البر» خبر مقدم وذلك للاهتمام بشأنه وأهميته، وجملة ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب في محل رفع مبتدأ مؤخر التقدير، ليس تولي او تولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب برا.

وقرأ الباقون غير حمزة وخصص برفع البر، وحينئذ يكون التقدير ليس البر توليتكم وجوهكم، وهذه لطفة من لطائف القرآن الكريم تلفت الأنظار الى ما يوهم ظاهره انه مخالف لقواعد اللغة لكن العكس صحيح فالقرآن الكريم مصور للقواعد واللغة، فسبحان من هذا كلامه.

الهدي

في سورة الفتح قال سبحانه وتعالى: (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله) الآية 25.

السؤال: كيف جاءت كلمة «الهدي» منصوبة وقبلها نعت ومنعوت مجرور؟

الجواب: ان كلمة «الهدي» معطوفة على الضمير في «صدوكم» وهو الكاف لأنها في محل نصب مفعول به او مفعول به لفعل محذوف تقديره صدوا الهدى وصدوكم حال كون الهدي معكوفا وجملة ان يبلغ محله مصدر مؤول مفعول لأجله بدل من الهدي.

جاء في سورة المنافقون قوله تعالى: (فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) الآية 10، السؤال: لماذا جاء الفعل «أكن» مجزوما وقبله «أصدق» منصوب؟

الجواب: كلمة «أكن» فعل مضارع مجزوم على محل أصدق الذي هو جواب الشرط المجزوم والتقدير لولا أخرتني إلى أجل قريب أتصدق وأكن.. وهذه لطيفة من لطائف الإعراب والقرآن وأسرار البيان الذي بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه وقسم لفظه ومعناه.

وأدخل يدك في جيبك

جاء في سورة النمل قوله تعالى: (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء...) الآية 12.

السؤال: ما السر في اختلاف صيغة الفعلين «ادخل.. تخرج» فأدخل فعل أمر.. وتخرج فعل مضارع فما سر التباين بينهما؟

الجواب: أن «أدخل» فعل أمر مبني على السكون و«تخرج» فعل مضارع واقع في جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه السكون.

فالأمر بالإدخال أولا هو أمرنا إليك وأنت فاعله.

أما الحال الثانية المترتبة على الحال الأولى فهي الإخراج بيضاء بغير سوء فذلك شأننا نحن وقدرة الحق سبحانه وليس لموسى عليه السلام أو لغيره شأن فيها.

فنحن نأمرك بالإدخال فقط ثم نخرجها نحن بيضاء من غير سوء.

فالفاعل بالإدخال أنت بأمرنا.

أما الفاعل للإخراج فنحن بقدرتنا.

فسبحان من هذا كلامه ومنعه وعطاؤه وإحياؤه وإماتته وتلك من لطائف القرآن الكريم وسر نظمه وإعجازه وسر بيانه وجماله.

من القصص النبوي

قصة من استدان ألف دينار

القصة رواها البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ انه ذكر «ان رجلا من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل ان يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم. فقال: كفى بالله شهيدا. قال: فأتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلا. قال: صدقت. فدفعها إليه الى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه الى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها الى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم اني كنت تسلفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلا، فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا، فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضي بك، وأني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له، فلم أقدر، وإني أستودعكها.

فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج الى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها، وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله مازلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة. فانصرف بالألف دينار راشدا».

هذه قصة رجلين صالحين من بني إسرائيل، كانا يسكنان بلدا واحدا على ساحل البحر، فأراد أحدهما أن يسافر للتجار، واحتاج الى مبلغ من المال، فسأل الآخر ان يقرضه ألف دينار، على ان يسددها له في موعد محدد، فطلب منه الرجل إحضار شهود على هذا الدين، فقال له: كفى بالله شهيدا، فرضي بشهادة الله، ثم طلب منه إحضار كفيل يضمن له ماله في حال عجزه عن السداد، فقال له: كفى بالله كفيلا، فرضي بكفالة الله، مما يدل على إيمان صاحب الدين، وثقته بالله عز وجل.

ثم سافر المدين لحاجته، ولما اقترب موعد السداد، أراد أن يرجع الى بلده، ليقضي الدين في الموعد المحدد، ولكنه لم يجد سفينة تحمله الى بلده، فتذكر وعده الذي وعده، وشهادة الله وكفالته لهذا الدين، ففكر في طريقة يوصل بها المال في موعده، فما كان منه إلا ان أخذ خشبة ثم حفرها، وحشا فيها الألف دينار، وأرفق معها رسالة يبين فيها ما حصل له، ثم سوى موضع الحفرة، وأحكم إغلاقها، ورمى بها في عرض البحر، وهو واثق بالله، متوكل عليه، مطمئن انه استودعها من لا تضيع عنده الودائع، ثم انصرف يبحث عن سفينة يرجع بها الى بلده.

وأما صاحب الدين، فقد خرج الى شاطئ البحر في الموعد المحدد، ينتظر سفينة يقدم فيها الرجل أو رسولا عنه يوصل اليه ماله، فلم يجد أحدا، ووجد خشبة قذفت بها الأمواج الى الشاطئ، فأخذها لينتفع بها أهله في الحطب، ولما قطعها بالمنشار وجد المال الذي أرسله المدين له والرسالة المرفقة ولما تيسرت للمدين العودة الى بلده، جاء بسرعة الى صاحب الدين، ومعه ألف دينار أخرى، خوفا منه ان تكون الألف الأولى لم تصل اليه، فبدأ يبين عذره وأسباب تأخره عن الموعد، فأخبره الدائن بأن الله ـ عز وجل ـ الذي جعله الرجل شاهده وكفيله، قد أدى عنه دينه في موعده المحدد.

طاوس بن كيسان.. العبادة والزهد والعلم والعمل

نموذج ندر وجوده في هذه الأزمان لرجل ليس من أصحاب النبي ﷺ لكنه بلغ شأنا عظيما في الصلاح مع العلم والفهم.

انه التابعي الكبير طاوس بن كيسان من اكبر اصحاب عبدالله بن عباس، وهو اول طبقة اهل اليمن من التابعين، وأدرك جماعة كبيرة من الصحابة، وقال ابن كثير: ادرك خمسين من الصحابة، ت 106هـ .

علامات مضيئة في حياة طاوس بن كيسان

أولا: العلم: ليس التابعي الجليل طاوس بن كيسان بحاجة لنعرفه للناس فهو أبين من ان يعرف، وعلمه بلغ الآفاق، وقد روى عن كثير من اصحاب النبي ﷺ، قال ابن كثير: كان احد الائمة الاعلام، قد جمع العبادة والزهادة والعلم النافع والعمل الصالح، وأكثر روايته عن ابن عباس، وروى عنه خلق من التابعين وأعلامهم، منهم مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وابراهيم بن ميسرة وأبو الزبير ومحمد بن المنكدر والزهري والضحاك ووهب بن منبه وغيرهم.

ثانيا: العبادة والزهد: كان الامام طاوس بن كيسان نموذجا يحتذى في تطبيق العلم، والسير به، وامتثاله، فتجده منفذا لما علم، مسارعا للاجر والثواب، مقبلا على ربه سبحانه، قال ابن كثير: توفي طاوس بمكة حاجا، وقال ابن شوذب: رحم الله طاوسا، حج اربعين مرة.

وروى الامام احمد قال: كان طاوس وأصحابه اذا صلوا العصر استقبلوا القبلة، ولم يكلموا احدا، وابتهلوا الى الله تعالى.

● حتى انه كان ليستغرب من الغافلين والساهين، كيف غفلوا عن الجادة، وكيف يغفل من يريد العلياء؟ قال ابن الجوزي: اتى طاوس رجلا في السحر، فقالوا: هو نائم، فقال: ما كنت ارى ان احدا ينام في السحر.

● وبشكل تطبيقي متفرد، يطير النوم من عيني صاحبنا، اذ التبعة ملقاة على القلب لا على مجرد البدن، قال ابن الجوزي: كان طاوس يفترش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى، ثم يثب فيدرجه (يعني يجمعه) ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول: «طيّر ذكر جهنم نوم العابدين».

● وعن ليث عن طاوس قال: ما من شيء يتكلم به ابن آدم الا احصي عليه حتى انينه في مرضه، ولما علم الامام احمد ذلك من قوله وكان يتأوه بينما كان مريضا، توقف عن التأوه ـ رحمهم الله جميعا.

● قال ابن كثير: كان طاوس يقول: خف الله مخافة لا يكون عندك شيء اخوف منه، وارجه رجاء هو اشد من خوفك اياه، وأحب للناس ما تحب لنفسك.

● وقال عبدالله بن المبارك: قالوا لطاوس: ادع الله لنا، قال: لا اجد لذلك حسبة.. ادعوا لانفسكم، فانه يجيب المضطر اذا دعاه.

● وقال ابن جرير: قال طاوس: البخل ان يبخل الانسان بما في يده، والشح ان يحب ان له ما في ايدي الناس ولا يقنع.

● قال ليث بن سعد: قال طاوس: الا رجل يقوم بعشر آيات من الليل، فيصبح قد كتب له مائة حسنة او اكثر من ذلك.

● قال ابراهيم بن ميسرة: قال طاوس: لا يحرز دين المؤمن الا حفرته «يعني لا يعلم حقيقته».

● وقال مجاهد لطاوس: رأيتك تصلي في الكعبة والنبي ﷺ على بابها يقول لك: اكشف قناعك وبين قراءتك، فقال له: اسكت، لا يسمع هذا منك احد، «فكان طاوس ينبسط في الحديث ويكثر منه بعد ذلك».

● وعن سفيان بن عمرو: ما رأيت احدا اشد تنزها مما في ايدي الناس من طاوس.

ثالثا: الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للامة:

● قال ابراهيم بن ميسرة: ورب هذا البيت، ما رأيت احدا الشريف عنده والوضيع بمنزلة واحدة الا طاوس.

● وقال ابن جرير: قال لي عطاء: جاءني طاوس فقال لي: يا عطاء، اياك ان ترفع حوائجك الى من اغلق دونك بابه وجعل دونك حجابه، وعليك بطلب من بابه لك مفتوح الى يوم القيامة، طلب منك ان تدعوه ووعدك بالاجابة.

● قال ابن كثير: جاء مسلم بن قتيبة بن مسلم ـ صاحب خراسان ـ لطاوس ليسأله، فانتهره طاوس بشدة، فقيل: هذا صاحب خراسان، قال طاوس: ذلك اهون له علي

● قال الطبراني: بعث محمد بن يوسف ـ أخو الحجاج ـ الى طاوس بصرة فيها دنانير وقال للرسول: ان اخذها منك فان الامير سيكسوك ويحسن اليك، قال: فخرج بها حتى قدم على طاوس ومعه الجند، فقال: يا ابا عبدالرحمن، نفقة بعث بها اليك الامير، قال: ما لي بها حاجة، قال: فأراده على قبضها، فأبى، فرمى بها من كوة في المنزل ثم ذهب، فقال لهم: قد اخذها.

فلبثوا حينا، ثم بلغهم عن طاوس شيء يكرهونه، فقال: ابعثوا اليه فليبعث الينا بمالنا، فجاءه الرسول فقال: المال الذي بعث به اليك الامير؟ قال: ما قبضت منه شيئا، فرجع الرسول فأخبرهم، فعرفوا انه صادق، فقيل للرجل الذي ذهب اليه وبعثوه اليه، فقال: المال الذي جئتك به يا ابا عبدالرحمن؟ هل قبضت منه شيئا؟ قال: لا، قال: فهل تدري اين وضعته؟ قال: نعم في تلك الكوة، فأبصره حيث وضعته، قال: فمد يده فاذا هو بالصرة قد بنت عليها العنكبوت بيتها، فأخذها فذهب بها اليهم.

● ولما حج سليمان بن عبدالملك قال: انظروا الي فقيها اسأله عن بعض المناسك، قال: فخرج الحاجب يلتمس له، فمر طاوس فقالوا: هذا طاوس اليماني، فأخذه الحاجب فقال: اجب امير المؤمنين، فقال: اعفني، فأبى، فأدخله عليه، قال طاوس: فلما وقفت بين يديه قلت: ان هذا المقام يسألني الله عنه، فقال: يا امير المؤمنين، ان صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيه سبعين خريفا حتى استقرت في قرارها، اتدري لمن اعدها الله؟ قال: لا ويلك، لمن اعدها؟ قال: لمن اشركه الله في حكمه فجار (يعني ظلم).

● وقال الزهري: دخل طاوس على سليمان بن عبدالملك فقال له: «ان اهون الخلق على الله عز وجل من ولي من امور المسلمين شيئا فلم يعدل فيهم».

● وقال طاوس لابي نجيح: يا ابا نجيح، من قال واتقى الله خير ممن صمت واتقى.

● وقال ابن كثير: كان طاوس يقول: «الجلاوذة والشرط وأعوان الظلمة كلاب النار».

● وقال ابن كثير: قال سليمان بن عبدالملك لطاوس: حدثنا، فقال طاوس: حدثني ابن عباس ان آخر آية نزلت في كتاب الله (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) «البقرة: 281».